

وثائق وأحداث

العرب في العصور الكلاسيكية القديمة

تعريف لكتاب فرانتس التهايم وروث شتيل

بقلم الدكتور مارتيناو رونكاليا
المعهد الألماني للدراسات الشرقية في بيروت

مثل مرة الأب لاگرانج؟ الدومينيكي : ما هي اللغة الشرقية التي لا غنى عنها لكل مستشرق؟ فاجاب جواب الماثي بنفسه وهو يتسم بدهاء : الألمانية . إن اعتماد المذكور على خبرته الشخصية أدت به الى الاجابة على هذا النحو ، فانتاج حركة الاستشراق الألمانية تشمل كافة الحقول وتحلّي بدقة التحليل مما يجعلنا نلاحظ أن دور النشر المختصة بالاستشراق تعيد حتى في يومنا هذا ، طباعة مؤلفات الكثيرين من المستشرقين الألمان القديمة التي لا تزال تعتبر كلاسيكية وصالحة للاستعمال رغم التقدم السريع الذي أحرزته العلوم الألسنية والتقنية ورغم صدور أبحاث حديثة تتعلق بحركة الاستشراق والشرق . فهذه ، على سبيل المثال : دار فلتزده غرويتز^١ التي تنوب الآن عن عدد كبير من دور النشر الخاصة بالاستشراق ، تقوم برسائلها ونشر المؤلف الموسوعي (وهو تاريخه يتألف من ست مجلدات) الذي يعالج موضوع العرب في العصور الكلاسيكية القديمة . إن اسمي المؤلفين فرانتس التهايم وروث شتيل كخيلاّن إيمان جديدة هذا المشروع العلمي المتعلق بالاستشراق . ولئن تركنا المؤلف بعيداً عن تناول من يهمهم الأمر في الأولية أي العلماء العرب انقصرنا في الواجب ولذا كان علينا ، رغم

Die Araber in der Alten Welt, von Franz ALTHEIM und Ruth STIEHL, (١)

Berlin, Walter de Gruyter and Co., 1964 sq.

Lagrange (٢)

Walter de Gruyter (٣)

صعوبات اللغة الألمانية واللغة التقنية المستعملة في المؤلف. أن نستشر كنوز هذا السحر القِيم المشحون بمسائل فنية وتاريخية وأثرية الخ... وإذا زودت بعضُ وتشجع المؤلفين الأستاذين السيد التيايم والسيدة شبل نفسيهما أقوم بتحليل هذه الملاحظات السعة وتقديمها محضاً للنسبي في بعض الأحيان حتى ابتداء بعض الملاحظات الإضافية التي تملينا على الحقيقة التاريخية كما أني أرى لزماً على احترام رأي المؤلفين وتخضوع لسلطتها غير المتنازعة.

المجلد الأول: يبدي المؤلفان الملاحظة التالية في مقدمة كتابها: كعاد تاريخ العرب في العصور الكلاسيكية القديمة أن يكون وفقاً على اختصاصي العلوم العربية والإسلامية ولم يولي المشرقين والمغربين جلَّ جهودهم للعصور الكلاسيكية القديمة بل عاجيها بشكل عابر. وما يشجع العصور الآن هو أننا نلاحظ أن هناك جهوداً تبذل لهذا هذا التلم ومن العلوم أننا لا نستطيع التعرف على قاهرة عصر معين دون أن نطلع على سابقتها. ولذا تم درس معطيات التاريخ في هذا الكتاب ليس في علاقاتها البنية العربية المشتركة فحسب بل أيضاً في إطارها الطبيعي من تاريخ العالم: فالعلمان الثَّانِ يحدان هذه الحقبة هما الاسكندر الكبير ومحمد وقد طبعاً بطابعها طريق الأحداث التي تكتسها، فينتج أن المكانة الكبرى التي يحتلها في هذا المؤلف تاريخ الجزيرة العربية الجنوبية تجد ما يبررها إذ تفقد الأحداث الأسطورية والتاريخية طابعها المحلي وتصبح في مصير تاريخ العالم. يتقيد المؤلفان بالألحقة التواريخ التي وضعها كوتزناك ريكمانس وجاكلين بيرين^١ تدفعها رغبة تقديم عواطف تبجيلها لمدرسة لوفان التي استطاعت أن تدخل شيئاً من النظام في تاريخ هذه المنطقة العام.

لم يكن المؤلفان ممن يستنبط العلم في الكتب بل انهما قاما بعدة جولات في سوريا والأردن ومصر وتونس والحبشة والسودان وقد دفعتهما رحلاتهما العلمية لزيارة كينيا ونيجيار وحضرموت وللتزول في مدن القاهرة وأديس أبابا وأسمرو وبغداد ودمشق دون التغاضي عن زيارة الحفريات التي تقوم بها مختلف البعثات الأثرية وقد سعيا دوماً للتحري عن العلاقات القائمة بين الحضارات الكلاسيكية الأوروبية والعربية وعن الروابط القائمة بينها وغالباً ما قاما بهذه الرحلات العلمية على حسابهما الخاص. وهذه أمور جديرة بالتنويه إذ تبين الرصانة التي تنجلي بمشروعها العلمي الذي نفذ بحذافيره.

فيما يلي محتوى المجلد الذي سوف نتفحصه مع كثافة تفاصيله :

١٧	: ساراپيس	الفصل الأول
٣١	: اخبار تتعلق بأصل الأنباط	الفصل الثاني
٤٠	: الرحلة حول بحر اريتريا وكوتيس روفوس ^١	الفصل الثالث
٦٥	: انبطاسة والانباط	الفصل الرابع
٨٠	: يمبرولوس ^٢	الفصل الخامس
٩٣	: النحياتيين	الفصل السادس
١٠٧	: عمانه وجره ^٣	الفصل السابع
١١٤	: الهجرة الى افريقيا الشرقية	الفصل الثامن
١٣٩	: أهل الحضر الأوائل في اخلال الخصب	الفصل التاسع
١٨١	: الآرامية : لغة عالمية	الفصل العاشر
٢١٣	: الكنعانيون والآراميون	ملحق
٢٣٧	: اللغة اليونانية في الشرق	الفصل الحادي عشر
	: تحضير اخلال الخصب	الفصل الثاني عشر
٢٦٨	(تابع للفصل التاسع)	
	: ابحاث عرقية على ورق البردي اليوناني -	الفصل الثالث عشر
٣٧٣	المصري	
	: سكان افريقيا الشمالية الأصليين من الحروب	الفصل الرابع عشر
٤٢٠	: البينكية لغاية الولاية الرومانية	

ملاحق

٥٥٠	حروب وحاملات حواب
٥٩٢	مشتى وأصل الثن العربي
٦٠٨	كلمات يونانية في اللغة السريانية
٦٢٣	ا تبادل اللغتي الايراني - السامي
٦٣٩	مورفتا كيرلس الاسكندري وتيودوتس الانكيراتي باللغة الحبشية
٦٤٨	الدراسات الآرامية في بيوتا هذا
٦٦١-٦٧٧	حاشية تتعلق بفرق الرواة في الامبراطورية العليا.

(١) Curtius Rufus

(٢) Iambulos

(٣) Omana et Gerrha

سارapis^١ (صفحة ١٧-٣٠)

كانت الجغرافية الكلاسيكية تعين موقع جزيرة الاله سارapis^٢ او سارapis على ساحل عمان بالذات . قبل ان تتجه شواطئه نحو الخليج الفارسي دائرة حوله من الجهة الشمالية الغربية . ويذكرها بطليموس اكثر من مرة كجزيرة سارapis^٣ ويقول ان فيها معبدًا ولربما هو للاله سارapis كما يذكرها ايضاً اسقفانوس البيرنثي^٤ تحت اسمها المنتسب سارapis ولكن المصدر الذي يتكلم عنها مفصلاً هو الرحلة حول بحر اريتريا^٥ . ف ٣٣ وهو يجعل الجزيرة . حين يصف شاطئ عمان . على بعد ٢٠٠٠ غداة من جزيرة زينديوس^٦ . وتختلف الجزيرة من ثلاث قوى يسكنها اناس يأتون الاسماك ويتكلمون جميعهم العربية .

نصادف س و پ ي و كاسم علم عند الانباط وقد حركه مارك لندريسكي^٧ على شكل «سرايين» وقد كتب ج . كاتينو^٨ الاسم على شكل ش و پ ي و وربطه بالنقطة العربية ش و ف وبما اننا نعلم ان اللغة النبطية تعمل بدين تميز حرف س وحرف ش نستطيع ان نجزم ان شكلي س و پ ي و و ش و پ ي و يبينان بشكل قاطع صحة قراءة لندرياسكي هذا العلم .

ولا يجب ان نصادف اعلام تيمن بالاله أمثال سارapis وسرايين شائعة عند الانباط ويعود ذلك الى قرب الانباط من وادي النيل ولكن الصعوبة تنجم عن إقامة العلاقة بين الاسم والمسمى اي جزيرة سارapis لأن هناك أسباباً موجبة لتفني أن يكون أصل الاسم مصرياً وتبيننا الرحلة ... ان سكان الجزيرة كانوا أناساً مكرسين^٩ اي مكرسين لسارapis ولربما كانت النقطة «هياروس» مرادفة للنقطة «هيارودولوس» وهذا مما حصلنا

Sarapis (١)

Sérapis (٢)

ἱεὸς Σαραπίδος (٣)

Stephanos de Byzance (٤)

Periplus maris Erythraei, 33 (٥)

Zenobios (٦)

Lidzbarski (٧)

J. Cantueneau (٨)

ἱεῖς او ἱεῖς καὶ ἱεῖς καὶ ἱεῖς كا ذكرهم اوراق بردي سرايين مفسر (٩)

ἱεῖς كاهن (١٠)

ἱερόδουλος خدام القديس (١١)

على اعتبار التناقد الحاصل في المتاحم الدينية قد انتشر في كبادوسيا وبابل ونيلام وجنوب جزيرة العرب كما أنه يجب ألا ننسى أنه كان في خليج جره لاجئون كلدانيين قد ذكرهم سترابون^١. وقد أخذت الآن فكرة وجود إله بابلي يحمل اسم ساراييس تنقضي بعض القبول وكان ف. دبليتش^٢ قد أشار إلى وجود إله يحمل اسم شربو^٣ في مجموعة الآلهة البابلية وقد سعى لين^٤ في تحديد هوية ذلك الإله وربطه بـ شر أبشي إله الاوقيانوس وقد أبدت هذه الفرضية الأخيرة كلياً الدراسات المتقاربة التي قام بها ث. هوبنر^٥.

وإذا استثنينا بعض القضايا التي وجدت تنافياً لنسبها لخلول الملائمة. كتسمية جزيرة ساراييس وكونها مأهولة بالسكان العرب. وقد أقام الدليل على ذلك علماء العاديات والكتابات الحديثة: وتنقصية أعلام التين ومنها ساراييس التي شاعت في شبه الجزيرة العربية وفي أطرافها: والتي أدت إلى مجموعة من التأملات تتعلق بتصدر العبادة التي حظي بها الإله ساراييس في الإسكندرية وفي مسفيس: وقد بين علماء العاديات والكتابات أن عبادة الإله ساراييس قد دخلت مصر قبل فتح الاسكندر الكبير وقد تدعم هذه النظرية الخصوص التاريخية وقد يؤيدها الشعر اليوناني: تقول: إذا استثنينا هذه القضايا: نجد أن مشكلة أصل ساراييس لم تحل بعد وهي لا تزال مفتوحة: فنظريات أ. قلكن^٦ قد لا تلاقي من ينجدها ولكن التأييد اليوم قد يشعق تارة بالنظرية «البابلية» وطوراً بنظرية «سينوبيس»^٧.

أخبار تتعلق بأصل الأنياب

نعثر لأول مرة على اسم الأنياب في سنة ٣١٢ قبل الميلاد وقد ذكره هيرونيوموس الكردياني^٨ بمناسبة قيام حملة عسكرية ضد هذه القبيلة العربية وقد خطط هذه الحملة أنطيوخوس^٩ وكان قد شن عدة غارات على

Sirabon (١)

F. Delitzsch (٢)

Šarrapu (٣)

C. F. Lehmann (٤)

Th. Höpfer (٥)

U. Wilken (٦)

(٧) سينوبيس هي مدينة Sinope. «النظرية البابلية» تنزو عبادة ساراييس إلى أصل

بابلي فبدأ نظرية «سينوبيس» تنزوها إلى هذه المدينة.

Hieronimos de Kardia (٨)

Antigonos (٩)

سوريا وفينيقيا وهو يذكر أن هؤلاء العرب الذين يطلق عليهم اسم الانباط^١ كانوا يناصرونه العداء.

هيرودوتوس النكدياني

يقدم لنا نحة خافتة عن ميقات العرب . فهم يعيشون أقواماً ويتعشرون الحرية ويتقنون حياتهم تحت قبة السماء وقد انتقوا لهم منطقة خالية من يتابع المياه بخارية من الأنهار . إذا تجرأ العدو ودخل المنطقة التي يعيشون فيها لسوف يقع في حيرة إذ لن يجد مكاناً يسكنه . لا يبذر العرب الأرض ولا يزرعون الأشجار وهم لا يشربون الخمر قط ولا يبنون المساكن ومن يخالفهم في الرأي فنصيبه الموت وهم يتصورون أن الابتعاد عن العادات المألوفة قد ينوي إرادتهم في البناء إحراقاً فالرغبة في الحرية تلازمهم من مطلع حياتهم لغايتها .

ثم يعالج المؤلف : بعد هذه الاعتبارات العامة . تفاصيل حياة كل من الأقوام العربية ويذكر أن بعضها يرعى الجبال ذوات السام الواحد أو الثامين وبعضها الآخر يهتم بتربية العجول . ويختل الانباط في موطنه مكانة خاصة وهو يقتل عددهم بعشرة آلاف نسمة وينسب إليهم التراء المثلث . يخل الانباط حتى البحر الأبيض المتوسط والبحور والمز والأفاوي التي تقطن من مكان الجزيرة العربية السعيدة^٢ . ويتعلق الانباط بحريتهم تمام التعلق وإذا داهمهم العدو فهم يلوذون بالصحاري^٣ وهي أرض حرام على العدو لأنها خالية من المياه ولكن الانباط بنوا فيها الصهاريج حيث تتجمع مياه الأمطار وهم فقط يعرفون مكان هذه الصهاريج أو الخزانات . ولا يستي الانباط انعامهم إلا مرة واحدة في كل ثلاثة أيام وذلك لكي تعود : إذا اقتضت الحاجة : اللجوء إلى الصحراء الخالية من الماء . ويقتات الانباط بالتحم والخليب ويشربون ماءهم ممزوجاً بالفلل^٤ وينوع من التصنع . قد يخلط العرب والانباط منهم بالمتحضرين وقد يشتركون بزراعة الأرض مع غيرهم ولكنهم يابون السكن في المنازل . إن الصفات المميزة للعرب ولغيرها من الأقوام العربية هي روحهم الشوافة إلى الحرية

(١) oi Ἀραβες οἱ ἀνατολίται Νοβατίου

Arabia Felix (٢)

παλιγγενεσία ὀχυρώματα (٣)

ἄνθος (٤)

واكتفواهم بنيل من الماء وتقبلهم بعدم إقامة الأبنية وأما في أمورهم المعاشية الأخرى فهم لا يتميزون عن الأقوام التي تجاورهم أو التي تسكن في أطراف الصحاري .

يذكر أيضاً هيروديموس الهانيكوريس^١ وهو نوع من السوق الموسمي الذي يذكرنا بالأسواق السنوية التي سوف تقام في العصور المتأخرة في عكاظ بمكة . يقصد العرب والأنباط منهم السوق الموسمي مع أقاربهم ويقايسونها بحاجياتهم اليومية ويترك الأنباط : أثناء قيام هذه السوق : نساءهم وأطفالهم وشيوخهم وأموالهم : لصورها في « الموضع الحجري »^٢ وهذا الموضع يقع على بعد مسيرة يومين عن كل مكان مأهول بالسكان .

يأتينا بعض المؤلفين بمعلومات إضافية تثبت ما تركه لنا بهذا الخصوص ديودوروس^٣ فيفيدنا أكثر خيدس^٤ في ما كتبه عن البحر الأحمر بأن الأنباط لم يكنوا داخل منطقتهم فحب بل قد استوطنوا أيضاً على شواطئ البحر الأحمر : وبأنهم اشتهروا بكثرة قطعانهم : كما أننا نعلم من الكتاب نفسه أن الذين كانوا يجلبون إليهم البخور والعطور هم سكان جرّة والمينيون القاطنون جنوب الجزيرة العربية . وقد تكون جدية بكل اهتمامنا للملاحظة التي نعرض عليها عند أكثر خيدس ومفادها أنه تقوم في قعر جون شواطئ البحر الأحمر ، غابة صغيرة ومقدمة من النخل^٥ يجلبها سكان المنطقة وفيها هيكل مع نقش لم يتوصل أي شخص يوناني إلى حل رموزه . يسهر كاهن وكاهنة على خدمة الهيكل وتقام فيه كل خمس سنوات حفلة « هانيكوريس » يجتمع لمراسمها كافة سكان المنطقة المجاورة وتذبح فيها مئة رأس من النوق . يحمل الحجاج الذين يحضرون المراسم حين عودتهم إلى بلدتهم مياه المكان المقدس إلى الذين لازموا بيوتهم وتنسب لتلك المياه خواصاً تشفي من الأمراض والعيات . ان نونوزوس الذي يذكر الموقع عنه والاحتفال نفسه يفيدنا ان ذلك يتم مرتين في السنة ، في الربيع وفي أواخر الصيف وإن احتفالات الربيع تلتزم شهراً واحداً واحتفالات أواخر الصيف شهرين وإن أمان الله في هاتين الفترتين يعم الكون ويشمل الناس والحياة .

Ἡρόδοτος (١)

ἐκ τῆς πόλεως (٢)

Diodore (٣)

Agatharchides (٤)

ποταμῶν (٥)

وقد ترك لنا ديودوروس ملاحظة قد سجلها لنا ديودور هيرونيوس
الكرداني وكلاهما يتفقان في سرد القادة التي تتعلق بسوق بانيجوريس وبعادة
حجر الأبطال والبناء والشيخ في مكان محسن . ونستطيع ان نتحقق
من صحة هذين الأمرين من النجمة التي كُتبت بها القادة اثينايس من قبل
انتيغونوس بوجوب قهر الأباط .

انتظر القادة موسم البانيجوريس واقترح مقاطعة آدوم^١ بعد مسيرة
ثلاث ايام وثلاثة ليال قطع فيها مسافة ٢٢٠٠ غلوة مداً في منتصف
ليل الصخرة مستفيداً من غلوة الأباط فبغت الثامن وأعمل السيف
في رقبتهم ونهب كل ما وجدته تحت متناول يده واستولى على خمسة ووزنة
من النقش وعلى كيات كبيرة من البخور والمر ولم يطل المقام به في الصخرة
بل انسحب . ولكنه لم يكده يقطع ٢٠٠ غلوة حتى سحق به الأباط وباغته
مع جيشه الغزوق في النوم وقد نجا منه خمسون جندياً فقط استطاعوا ان يلوذوا
بالفرار وعادت النجمة الى أيدي مالكيها الشرعيين .

كتب الأباط إثر هذه الحادثة رسالة بالحرف السرياني^٢ إلى انتيغونوس
يدفعون فيها التهمة عن انفسهم ويلتصقون بها مدعين انه دبر هو نفسه
تلك المؤامرة ، وإن دلت هذه الملاحظة العابرة على شيء فبني تين لنا
أن الأباط لم يتبنوا الآرامية في القرن الأول قبل الميلاد قطعاً بل قد تبناها
ككفة رسمية في أواخر العصر الاخميني . أجاب انتيغونوس على رسالة الأباط
مخادعاً وادعى انه حاول صد اثينايس عن تنفيذ مأربه وأنكى نيته الحقيقية
رضية من في طمأننة الأباط لعلمهم بولونه من جديد تقتهم وقد اغتبط الأباط
من رد انتيغونوس ولكنهم لموا أخذوا وعندما حاول المذكور في هذه المرة
ايضاً مدامتهم وأرسل هذه الغاية ابنه ديمتريوس^٣ على رأس ٤٠٠٠ من
الجند انشأ مع ١٠٠٠ من الثرمان أخفق في مساعد اذ اعلنت اشارات
نارية الأباط عن قدوم جيوش العدو فحملوا أمواهم إلى الصخرة^٤
وجعلوا ذا حامية وأطلقوا قطعانهم في الصحاري . قنثت هجرات المعتدين
وقرر الأباط ارضاء ديمتريوس بأخذايا في حال موافقته على فك الحصار
عن الصخرة وعلى الانسحاب فاكثى المغبون بأخذايا وابتعدوا عن المدينة .

(١) ἀπὸ τοῦ Ἰερωνίου ἱερογίας

(٢) οὐσιας γραμμάτων

(٣) Demetrios

(٤) ἀπὸ τοῦ νότον

نعلم الآن حق العلم ان الصخرة التي نحن بصدددها ليست إلا الموقع الذي سيصبح فيما بعد مدينة البتراء وهذا أمر تؤيده كافة النصوص والوثائق وهنا نذكر شاحداً أولاً : « وكانوا ينصرفون الى موضع قفر ليحتسوا به »^١ ، وشاحداً ثانياً : « كان في المكان آبار من حفر يديهم »^٢ ، وشاحداً ثالثاً ينوه معتزاً بدفاع عبيد وساعدته فخاريس المكان^٣ . وبخصوص الشاهد الثالث لا يسعنا إلا أن نلمح الى زب عطوف الذي يرتفع الى علو ١١١٠ م. والذي ينتصب في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة التي ستبني فيما بعد .

اتجه جيش ديمتريوس بعد انسحابه نحو البحر الميت انشهر بأمنه الذي يقبل عليه إقبالاً شديداً سكان مصر ويحتلون به موتاهم وكان سكان هذه المنطقة يحافظون على سلعتهم الثمينة ويسرون عليها وذأي انتيكونوس في الأمثلت هذا وسيلة ناجعة كغيرها للالتراء قد تعوض عليه ما فاته بعد حملته الفاشلة ولكن الأحداث جرت مرة ثانية على غير ما كان يتوقع وبذكر هيروديس الكرياني أن انتيكونوس لم يوفق في قهر ٦٠٠٠ من العرب تجمعوا هناك وتغلبوا عليه وسفكوا دم معظم رجاله .

ونجد لأول مرة ذكر الأنباط : قبل الأحداث التي سردناها أعلاه : وكان يطلق عليهم اسم عرب وقد ثبت اسمهم هذا من نص حصار الاسكندر لغزة في سنة ٣٣٢ قبل الميلاد .

تذكر نصوص اريانوس التاريخية أن الخصي « باتيس » هو الذي تولى أمر الدفاع عن المدينة وعندما اقترب جيش الاسكندر الكبير رفض المذكور ان يسلم المدينة بل قام بتحسينها وامتار مستعداً للمقاومة وقد قيل عن ثنابيين إنهم « عرب ... جاؤوا للمساعدة »^٤ وما لبث أن أصبح الدفاع عن المدينة أمراً شاقاً فأصيب ملكها بالجراح مرتين لاقترب المعارك من مشارف المدينة وقام سكانها الغزويون حتى آخر رجل منهم وبيع أطفالها وناووا كعبيد .

- (١) τὸ δὲ χωρίον ὑπερχεν ὄχυρόν μιν καθ' ὑπερβολήν, ἀπαχιστόν δὲ
(٢) αὐτοὺς μὲν ἀναβλάσκας χρησιμοποιοῦν
(٣) δια τὴν ὑπερσχήν τῶν τόπων
(٤) Ἀραβίας... μίσθωτοὺς ἐπαγόμενος
(٥) Γαζαίτοι

ونعني أولاً على اسم البطل الذي ذاد عن المدينة Batis : واسمه هذا من أصل عربي - باطش : وقد نقش في الخط النبطي على شكل بطشور وقد ربط ج. كاتشير الذي كان يجيل نص اربانوس الاسم بما قرأه في التماموس اي بطاش .

وثانياً لما أبداه الأستاذ التهامي من آراء بخصوص البقاع التي انتشر فيها الألباط . نرى وجوب إضافة ما يلي : ألقى منذ سنتين الأستاذ لانكستر هاردن المعروف في أوساط العاديات الأردنية . محاضرة في المجلس الثقافي البريطاني في بيروت وعرض أفضلاً تبين أن عددًا ضخمًا من الحجارة البازلتية التي تغطي كل منطقة آدوم تحمل نقوشاً نبطية بدائية . يشير ديودوروس أن الألباط كانوا يحملون إلى البحر الأبيض المتوسط الأقاوي وأنهم الذين كانت تصلهم من بلاد العرب السعيدة ولا نستطيع بعد قراءة هذه الإشارة إلا اعتبار غرة كنقطة انثناء إذ كانت في نهاية الطريق التي تنحني إليها من ايلات على البحر الأحمر ومن شبه جزيرة العرب : كما أنها كانت تقع على الطريق الذي يربط بلاد ما بين النهرين بمصر . وقد أبدى الألباط اهتماماً كبيراً بغزة بسبب نوعية سلعهم ولذلك اختيروا دوماً استعدادهم لمساعدة المدينة ولربما أرسلوا إليها المرتزق Batis لكي يعاون سكانها ضد الاسكندر .

ونستطيع بهذا الاعتماد أيضاً على ملاحظة صادرة عن كورنيوس روفوس الذي يذكر فيها أن أمر موقع غرة كان يدعى « باتيس »^١ وأن حرساً وقليل العدد^٢ كان يحمي أسوار المدينة الحصينة يساعده في منته هذه المواطنين وقد تجرأ وعربي من جنود الفرس^٣ بتصويب ضربة كادت تنقضي على الاسكندر وكانت مقاومة المدينة عنيفة وقد قرر المحاصرون ابقاء خسائر جسيمة بالمحاصرين وقد أدت الغارة إلى مقتل عشرة آلاف من الفرس والعرب . لا يميز كورنيوس روفوس قط بين المكان (الغزاوين) و المرتزقة العرب^٤ (كما فعل اربانوس) وذلك لأنه قد يضفي على غرة انصبغة العربية دون سواها وقد رأى بوليبيوس وفلافيوس جوزف في مؤلفتيهما

Lankaster Harding (١)

باليونانية 3377 (٢)

modicum praesidium (٣)

Arabs quidam Dardi miles (٤)

Ἀραβες μακροβατοὶ (٥)

التاريخيين الرأي عينه وهما عندما يتكلمان عن هذه المعركة لا يعرفان إلا « الغزاليين » .

قد نستطيع القول ان غزوة لم تكن عربية قبل الاحتلال الاسلامي ويرى W. W. Tarn عكس ذلك ويؤيد رأيه مستشهداً به Hérodote (انظر ٣ و ٥ و ٧ و ٩١) ولكن تحليله للنصوص لا يعتبر كحجة قاطعة : وعلى كل لا تلمح النصوص المستشهد بها لاحتلال عربي لغزوة وهذا هيرودوتيموس الكردياني بسمي المنطقة آدوم وهذه المعلومات التي وصلت اليها تبين ان الجزيرة العربية في قديم الزمان كانت تختلف تمام الاختلاف عما هي عليه الآن ، وكل ما نستطيع ان نقوله هو ان غزوة لم تكن قط يهودية وكانت لمجتبئاً دوماً عربية .

•

ينقل لنا كورتيوس روفوس في تاريخه النادرة التالية : كلف بوليداماس^١ بعد الحكم على فيلوتاس^٢ بالذهاب الى اكياتانا لاختيال پرمينيون وقد تنكر للخروج من درانگاي^٣ عاصمة درانگيانا بزي عربي وصحبه عربيان تركا نساءهما واطفالهما « كرهائين » لدى الاسكندر الكبير ووصل ثلاثتهم عبر صحاري لا ماء فيها وبعد مسيرة تسعة أيام : الى المكان المقرر حيث خلع بوليداماس الثياب العربية التي تنكر بها وارتدى لباس أهل مكدونيا . وكان قد آثر لمسيرته من درانگاي الى اكياتانا اتخاذ طريق الصحراء المباشر ليحول دون وصول نأ رحلته الى پرمينيون قبل أوانها . ولربما قد أودى به طريقه الى القريب من بحيرة هامون وحازي هكذا كتابي اي اصفينان الحالية . ويخزم كورتيوس روفوس مؤكداً وجود عرب في منطقة درانگيانا في فارس ولكن رواية اريانوس للحدث نفسه لا تذكر : حتى ولا قلمياً ، عرباً قد لقينهم بوليداماس في طريقه . وعلينا أن نتساءل : هل أقام عرب في بلاد فارس ؟ وفي حالة الايجاب ، متى تمّ لهم المقام فيها ؟ نعث في « الرحلة حول بحر اريتيريا » على خبر يتعلق بهذا الموضوع مفاده ان قمة « اسبخ » كانت النقطة التي تفصل فارس عن النشاط الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة العربية

Polydamas (١)

Philotas (٢)

Drangae (٣)

Vinculum fidei (٤)

Velocitate opus est, qua celeritatem famae antecedit (٥)

حيث تقع جزر زينوبيوس النبع والتي عرفت باسمها هذا بفضل اسم رجل عربي لقب بزئب ويبعد موقعها ٢٠٠٠ غلوة عن جزيرة سارابيس وكان الشاطئ بكامله حتى عمان الحالية تحت السيطرة الفارسية ويروي الطبري نفسه ان شاطئ الخليج الفارسي كليها كانا تحت سيطرة فارس ولذا مر ايرشير الأول بالبحرين عندما أراد فتح حترا.

نحدثنا المصعدي في القرن العاشر عن السرافيين المتحيزين في فارس ويبدو ذكراً لأهل سراف في المؤلفات المتأخرة وذكر مكان محطة من سراف. قبل وقتنا عرفنا على سكان جزيرة سارابيس حسب ما ورد في الرحلة... وفي مصادر تاريخية أخرى؟

كان في عمان الحديث عرب يخضعون للسيطرة الساسانية ويجرد انشاء نظرة على الخارطة الجغرافية بين لنا ان عمان الساسانية هذا وكرمان وكندوسيد^١ تقع جميعاً مقابل بلاد فارس وقد عرف أهل هذا العصر مرفأ مدينة هارموزاي^٢ الموافق خرزمز وسوف يطلق على هذا المرفأ في العصور الهيلينية المتأخرة اسم عمانه وقد ثبت على هذا الشكل في الرحلة ٣٦. استوطن عمانيو اتسم الجنوبي من الخليج الفارسي العرب في شمال عمان الحديث ويذكر بلبنوس في مؤلفه «التاريخ الطبيعي» عن قربهم من زبتيس^٣ الذي قد يكون اسماً مشتقاً من أصل عربي (زيتي من زيت) وكانت سراف تقع على الشاطئ المقابل في فارس وقد ذكر ذلك ابن خردادبه وقدامة. وهكذا اننا نجد عرباً يخضعون للسيطرة الفارسية في عمان الحديث كما نجدهم على شواطئ منطقة كرمات المجاورة لبلاد فارس ولربما نجد عرباً في بلاد فارس بالذات.

الرحلة حول بحر اريتريا وكورتيس روفوس (صفحة ٤٠-٦٤)

لم نجد بعد مشكلة سنة تأليف كورتيس روفوس لتاريخ الاسكندر محلاً نهائياً. فالأرجح انه كتب بين عصر الامبراطور كلوديوس وعصر الامبراطور ساويروس وما استجد في هذه المشكلة هو ربط التفرقات الزمنية التي يحددها كورتيس روفوس بالتفرقات الزمنية التي تذكرها الرحلة حول بحر اريتريا. وقد ظهر ان كورتيس روفوس قد استمد تاريخ أزمنته من

Gedrosia (١)
Harmonaei (٢)
Zétis (٣).

«الرحلة» واستعان به ولذا كثر التوافق الزمني بين كورتنيوس و«الرحلة» وفي حال قبولنا بأن التعامل التجاري الذي قد عرف رواجاً كبيراً بين الهند والغرب قد ذكره للمرة الأولى بطليموس و«الرحلة»، حتى لنا نسبة كورتنيوس و«الرحلة» الى فترة زمنية واحدة. ولم يزل حتى الآن يتأرجح تأريخ وضع «الرحلة» بين عصر نيرون ونهاية القرن الأول الميلادي ولقد انخفضت السبعة جاكولين بيرين في مؤلفها *Le royaume sud-arabe de Qatabān et sa datation*, 1961, 167-193 كل المعطيات الكلاسيكية التي توافرت لديها بهذا الخصوص الى غريفة محدثة وقد استطاعت بالحجج الدامغة وبالاغتناد على معطيات علوم الكتابات القديمة وقراءتها والتأريخ والنصوص الفارسية: تثبت السنوات ٢٢٥ و ٢٣٠ كحد أقصى لتأليف «الرحلة». ووافق مبدئياً التيام وشتيل على هذا الحد ولكنها أدخلت على نظرية بيرين بعض التعديلات والتحسينات الطفيفة التي فانت هذه الأخيرة أو أوقعتها في بعض الشك والحيرة.

فُحصت الآن الأصول الشرقية واليونانية واللاتينية واستفيد منها الى أقصى حد ولذا نستطيع بكل تأكيد نسبة «الرحلة» إلى النصف الأول من القرن الثالث أو على الأصح الى عصر الامبراطور سبتيسيوس ساويروس: فالنصوص والتحليلات والتعليقات تنفع بصحة هذه النسبة بشكل لا مواربة فيه.

البطالة واللباط (صفحة ٦٥-٧٩)

ان المرجع الأساسي الذي يسلط الأضواء انكاشفة على نشأة سياسة البطالة وتجارتهم في البحر الاحمر هو سفر الكندي كاترخيدس انسخم وقد عاش هذا في الاسكندرية ولم يطلع مؤلفه الا طبعة واحدة قام بها ميلر في سلسلة *Geographi Graeci Minores* 1, 1882, p. 111 s. وهي الطبعة المعبولة بها الى الآن اذ لم تحل طبعة أخرى محلها وقد فحصته جاكولين بيرين من زاوية علاقته بالجغرافية العربية الجغرافية وكان مؤلفه قد وضع تاريخاً لاوروبياً يقع في ٩٤ مجلداً وتاريخاً لآسيا في عشر مجلدات وقد عكفت المؤلف في آخر حياته على تاريخ البحر الاحمر ولكن مجموعة من الظروف القاهرة الخارجية حالت دون انجازه العمل. ونعتمد لتحديد تاريخ مؤلفه البحر الاحمر على الحدس والتخمين ولربما قد قام المؤلف بعمله في الفترة الواقعة

بين ١٣٢-١٣١ و ١١٧-١٠٨ قبل الميلاد . ولم نعث على أصل المؤلف ولم يتصل إلينا بكامله ولكن فويرس^١ وفيدودوروس^٢ ١٢:٣-١٨ احتفظا بنقطتين منه قد نشرهما مولر الذي أتاح لنا قراءة وصف «الخليج العربي»^٣ ٧٩-١٠٣.

لم يكذ البطالة يجعلون البحر الأحمر صالحاً للملاحة التجارية حتى خرج الأنباط اليه وأخذوا يقومون بأعمال القرصنة ونذا اضطرت البطالة إلى إقامة شرطة بحرية وعندما سقطت مدينة إيلانا^٤ في أيدي البطالة اتخذت خا اسم بيرينيكه^٥ وعسكرت فيها شرطة البحر التي كانت تتألف من ٩٨ (حارساً لتقلعة العربية)^٦.

ويمكننا ان نطرح السؤال التالي : من هم بالضبط هؤلاء التجار الذين منيد لهم البطالة طرق الملاحة في البحر الأحمر ووضعوا تحت تصرفهم مراقبي بيرينيكه وميوس هورموس وفيلوتيرا^٧ ومن هم هؤلاء «رجال البحر»^٨ الذين كان يداهمهم الأنباط بنية نبيهم ؟ لم يكن بالطبع هؤلاء التجار من الإمبراطورية التي كان ينسب إليها القرصنة الأنباط . يقول مثل سائر ينسب إلى أخيكار الحكيم عثر عليه في بردي قديم في البعثينا : وإياك أن تدل عريباً على البحر أو صيداوياً على الصحراء . مما ينود بأن العرب . اسباد البر . كانوا يتعاضدون القرصنة في البحر وإن الصيدونيين . اسباد البحر . كانوا لا يجسمون عن تعاضي القرصنة في البر . وعلى كل قلنا ماء الحرية بتفسير هذا المثل على الوجه الذي نرتبه .

أما امر وصول السلع إلى مرفئ بيرينيكه على خليج إيلانا ومنه إلى غزة فكان يتم على الوجه التالي : كان المينون هم الذين يؤمنون نقل البضائع كنياً أو جزئياً إلى غزة بينما كان يتم نقلها في البحر الأحمر إما على يد المينين التابعين لبطالة إما على يد اليونان خاصة . وكان الطريق الشجع لنقل سلع الجزيرة العربية الجنوبية هو أن يستلمها الأنباط من المينين وأن ينقلوها من البراء

(١) Phorius . في مائة . بيرينيكه . Bibliotheca

(٢) Ασπίου κόλπος

(٣) Ailana

(٤) Béréniké

(٥) οὐλακας τοῦ Ἀσπίου μυχοῦ

(٦) Μύος Ἱερμός, Philotera

(٧) μένοντες

الى غزة وذلك عن طريق الصحراء . وحتى عندما كان السبثيون يملكون
بالذهب سوريا إبان حكم بطليموس الثاني : كانت هذه السلعة نفسها تصليا
براسطة طريق البر فقط وما كانت اشجارا البحرية البطلمية تعتمد إلا
على المرفأ الوحيد القائم في الجنوب ، « خرموثاس »^١ الذي كان يوسعه أن
يستقبل الثمن من المراكب قريبا . ولم يكن يبعد المرفأ المذكور عن بلاد
شمال القبرية من اليمن وكان هناك تيار من المياه يرتطم على جنوب المنطقة
البحرية وقد كان هذا التيار يعوق الملاحة ولذا كثرت الحوادث الناجمة عن
صعوبة الملاحة ومرارا ما أصابت بالأضرار الزوارق التي كانت تقصد مرفأ
خرموتاس ونعتقد حسب معطيات التاريخ ان قرصنة البحر لم يكنوا عربا
فحب بل انباطا ايضا ولم تقتصر اعمال القرصنة على البحر الاحمر بل
تعدتها الى حوادث برية مما ازعج البطالة على إقامة حصون على شواطئ
البحر وعلى طول طريق نقل السلع وقد حدد سكان جره والمينين يساعدهم
السبثيون احتكار نقل السلع نحو البحر الابيض المتوسط ، هذا الاحتكار
الذي استأثر به الانباط وقد سعوا للتدبير عنه بكل ما أمروا من قوة ولكن
بطليموس الثاني الذي حاول انتزاع هذا الاحتكار منهم نجح في معاد
ووصل الى البحر المتوسط بالدوران حول البحر الاحمر دون عبور أراضيهم .

كانت الخطة التجارية المينة التي توجه السلع نحو الشمال الى نحو
الانباط والبراء هي مدينة ديدان في شمال الحجاز وكانت فينا جالية من
المينين وكان السبثيون الذين كانوا هم ايضا يحملون بخودهم وأقاربهم الى الشمال ،
لا يتوقعون أن يرحب بهم أهل ديدان ونذا كانوا يسكنون ، لموصول الى
فينيقيا أو سوريا : طريقا يفضي بهم الى الشرق . إننا لانعرف الكثير
عن هذا الطريق التجاري ولكننا نفترض أنه كان يمر بالموقعين اللذين أقيمت
عليهما اليوم الحائل والجوف وقد أقام اكترخيدس وفوتيرس علاقة بين سكان
جره والمينين وحددا الطريق التجارية المؤدية الى سوريا فقد كانت تنطلق
من الجوف مخترقة وادي الرمة بالحوائل فينيقية وأخيرا وادي سرحان .

تمتع الانباط بامتيازات سياسية نكوتهم حلفاء السلوقين وشاهنشاه البطالة
وقد اهتم الانباط خاصة باحتكاراتهم التجارية ويندر بنا أن نلاحظ ان
الأراضي التي استولى عليها البطالة في سوريا وفي فينيقية كانت تخص
السبثيين وأهل جرة ولا تخص الانباط . ومنهم من هذا أنه ، رغم اختلاف

المصالح النخلة والسلوية. تلك التيمان ملكاً مرحداً في الأمور السياسية والعسكرية. ولا سبط الغور السوري وفلسطين في حوزة السلوقيين. إثر الحرب السورية الخامسة (٢٠٠-١٩٥ قبل الميلاد) التي أدت إلى احتلالهم لسوريا، حارب في جيش انطيوخوس الثالث عرب مع جملهم وأصبحت طريق العطور والأفوي مفتوحة من جديد للألباط حتى غزة أي النقطة النهائية لطريق التجارية المنقطة من البتراء. أما وحيد البشيين في غزة فهذا شيء غير معقول. انسحب حرقان الموالي للسلوقيين إلى الضفة الشرقية من الأردن وأسس ضويباد ونحن نعرف اليوم أطلال قصره باسم عراق الأمير. وحصنه الذي لا يزال بادياً للعيان باسم وادي الشير. وقد حارب حرقان العرب (أعني الألباط) وقد قتل عدداً منهم ووقع الآخرون بأسره وقد حكم ما جاوره من البلاد مدة سبعة أعوام ولكن عندما تولى الحكم انطيوخوس الرابع بعد وفاة سلوقوس الرابع. انتحر حرقان. خوفاً من أن ينتقم منه ملكه فتركت عرب الصداقة من جديد بين الألباط والسلوقيين.

(لبحث صلة)